المادة: البلاغة

الدراسات الصباحية والمسائية

إعداد: م.م. محمود علي البياتي

عنوان المحاضرة: القصر في البلاغة العربية

تعريف القصر:

(القصر) هو الحصر والحبس لغة، قال تعالى: (حور مقصورات في الخيام)(١).

واصطلاحاً هو: تخصيص شيء بشيء، والشيء الاول هو المقصور، والشيء الثاني هو المقصور عليه.

فلو قلت: (وما محمد الا رسول)(٢) قصرت محمّداً (صلى الله عليه وآله وسلم) في الرسالة، بمعنى: انه ليس بشاعر، ولا كاهن، ولا إله لايموت... فمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) مقصور، والرسالة مقصور عليها.

ولو قلت: (ما الرسول في آخر الزمان إلا محمد صلى الله عليه وآله وسلم) قصرت الرسالة في آخر الزمان على محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، بمعنى: أن (مسيلمة) و(سجاح) ومن لف لفهم، ليسوا بمرسلين، فالرسالة مقصورة ومحمد مقصور عليها.

طرق القصر:

وللقصر طرق كثيرة: كالاتيان بلفظ (فقط) أو (وحده) أو (لاغير) أو (ليس غير) أو توسّط ضمير الفصل، أو تعريف المسند إليه، أو لفظ (القصر) أو (الاختصاص) أو ما يشتق منهما.. أو نحوها ممّا عدّها بعضهم الى أربعة عشر طريقاً.

لكن الاشهر المتداول في كلام العلماء أربعة:

١ . القصر بالنفي والاستثناء، قال تعالى: (وما محمّد إلا رسول قد خلت من قبله الرُسُل)(٣).

٢ . القصر بـ (انّما)، قال تعالى: (إنَّما يخشى الله من عباده العلماء)(٤).

٣ . القصر بحروف العطف: (لا) و(بل) (ولكن) كقوله:

عمر الفتى ذكره لا طول مدّته وموته خزيه لا يومه الداني

وقوله: (ما الفخر بالنسب بل بالتقوى).

٤ . القصر بتقديم ما حقه التأخير، قال تعالى: (ايّاك نعبد وايّاك نستعين)(٥).

ثم ان المقصور عليه في الاول: هو المذكور بعد أداة الاستثناء، كالرسالة.

وفي الثاني: هو المذكور في آخر الجملة، كالعلماء.

وفي الثالث: هو المذكور ما قبل (لا) وهو: ذكره، وخزيه، والمقابل لما بعدها كقوله: (الفخر بالعلم لا بالمال) والمذكور ما بعد (بل) و(لكن) وهو: بالتقوى، وبالأدب.

وفي الرابع: هو المذكور مقدّماً، كـ (ايّاك).

أمور ترتبط بالقصر:

هنا أمور ترتبط بالقصر:

١ . القصر يحدّد المعاني تحديداً كاملاً، ولذا كثيراُ ما يستفاد منه في التعريفات العلمية وغيرها.

٢ . القصر من ضروب الايجاز وهو من أهم أركان البلاغة، فجملة القصر تقوم مقام جملتين: مثبتة ومنفية.

٣ . يفهم من (انما) حكمان: اثبات للشيء والنفي عن غيره دفعة واحدة، بينما يفهم من العطف الإثبات أوّلاً والنفي ثانياً، أو بالعكس، ففي المثال السابق: الخشية للعلماء دون غيرهم، والفخر للتقوى لا للنسب، مع وضوح الدفعة في الاوّل، والترتّب في الثاني.

٤ . في النفي والإستثناء يكون النفي بغير (ما) أيضاً، قال تعالى: (إنْ هذا إلاّ ملك كريم)(٦).

ويكون الاستثناء بغير (الا) أيضاً، كقوله:

لم يبق سواك نلوذ به مما نخشاه من المحن

٥ . يشترط في كل من (بل) و(لكن) ان تسبق بنفي أو نهي، وأن يكون المعطوف بهما مفرداً، وأن لا تقترن (لكن) بالواو، وفي (لا) أن تسبق بإثبات وأن يكون معطوفها مفرداً وغير داخل في عموم ما قبلها.

٦ . يدلّ التقديم على القصر بالذوق، بينما الثلاثة الباقية تدلّ على القصر بالوضع أعني: (الادوات).

٧ . سبق أنّ الاصل هو أن يتأخّر المعمول عن عامله إلاّ لضرورة، أهمّها إفادة القصر، فإنّ من تتبع كلام البلغاء في تقديم ما من حقّه التأخير، وجدهم يريدون به القصر والتخصيص عادة.

أقسام القصر:

للقصر قسمان:

١ . حقيقي: وهو أن يختص المقصور بالمقصور عليه بحسب الحقيقة والواقع، نحو (لا إله إلا الله)(٧).

٢ . اضافي: وهو أن يختص المقصور بالمقصور عليه لا حقيقة بل بالقياس إلى شيء آخر معيّن، كقول الحطّاب لزميله: (لايوجد في الصحراء إلا حطباً رطباً) فإن النفي ليس لكل شيء حتى الانسان والحيوان، وانما للحطب اليابس.

وينقسم القصر الاضافي الى ثلاثة أقسام:

الاول: قصر الأفراد، وذلك فيما اعتقد المخاطب الشركة، قال تعالى: (إنّما الله إله واحد)(٨) رداً على من زعم التعدّد.

الثاني: قصر القلب، وذلك فيما اعتقد المخاطب عكس الواقع، كقوله: (وليس النبيّ سوى أحمد...) رداً لأتباع (مسيلمة) و(سجاح).

الثالث: قصر التعيين، وذلك فيما تردّد المخاطب كقوله: (ولم يك للحوض إلا عليّ عليه السلام) لمن تردّد.

وينقسم القصر . أعم من الحقيقي والاضافي . إلى:

١ . قصر الموصوف على الصفة، كما تقدّم في قوله تعالى: (وما محمّد إلاّ رسول)(٩). حيث قصر محمّداً (صلى الله عليه وآله وسلم) في الرسالة.

٢ – قصر الصفة على الموصوف، كما نقدّم في قوله تعالى: (إياك نعبُد)(١٠) حيث قصر العبادة في الله تعالى، فلا نعبد سواه.

١ . الرحمن: ٧٢.

٢ . آل عمران:١٤٤.

٣ . آل عمران:١٤٤.

٤ . فاطر: ٢٨.

٥ . الفاتحة: ٥.

٦ . يوسف: ٣١.

٧ . محمد (صلى الله عليه وآله وسلم): ١٩.

٨ . النساء: ١٧١.

٩ . آل عمران: ١٤٤.

١٠ . الفاتحة: ٥.